

نماذج من الرقي الأخلاقي

(٥)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في التوجيه التربوي

(٣)





من مواقف فرج التنوخي رحمه الله

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير في ترجمة فرج بن فضالة
التنوخي الحمصي قال: ومن مناقبه
أن المنصور دخل يوما إلى قصر
الذهب فقام الناس إلا فرج بن
فضالة، فقال له - وقد غضب عليه -:
لَمْ لَمْ تَقُمْ؟ قال: خفت أن يسألني الله
عن ذلك ويسألك لَمْ رَضِيتَ بِذَلِكَ،
وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس،



قال: فبكى المنصور وقرببه وقضى
حوادثه^(١).

ففي هذا الخبر مثل من
الاستقامة على دين الله تعالى،
وتغليب جانب العمل لبلوغ الهدف
الأعلى في حياة المسلم، وهو بلوغ
رضوان الله تعالى والجنة على جانب

(١) البداية والنهاية ١٠/١٧٦.



النظر إلى الرفعة في الدنيا ونوال
مجدها الزائل.

فلقد كان فرج بن فضالة
التنوخي بين أمرين: أن يرضي الله
تعالى وأن يرضي أمير المؤمنين أبا
جعفر المنصور، ففضل رضوان الله
تعالى، فحصل على سعادة الدنيا
والآخرة.

وموقف جليل لأمر المؤمنين
أبي جعفر المنصور حيث بكى من



خشية الله تعالى حينما ذكره فرج بن
فضالة بوقوفه بين يدي الله جل وعلا
يوم القيامة، وكافاً هذا الواعظ برفع
منزلته وقضاء حوائجه.



من مواقف القاضي يحيى بن أكثم
رحمه الله

من ذلك ما روي عنه أنه لقيه
رجل فقال له: أصلح الله القاضي كم
آكل؟ قال: فوق الجوع ودون الشبع،
قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر
وجهك ولا يعلو صوتك، قال: فكم
أبكى؟ قال: لا تملّ البكاء من خشية
الله، قال: فكم أخفي من عملي؟ قال:
ما استطعت، قال: فكم أظهر منه؟



قال: ما يقتدي البرُّ الخَيْرُ وَيُؤْمَنُ
عليك قول الناس ^(١).

فهذه أجوبة سديدة من هذا
العالم القاضي، فقد رسم فيها موازين
الاعتدال في الأكل والضحك
والبكاء وإخفاء العمل وإظهاره،
وقد كان موفقا في وضع الحد

(١) طبقات الحنابلة ١/٤١٢.

المناسب لكل أمر من هذه الأمور.
والقاضي يحيى بن أكثم كان
أديبا سريع البديهة مسدّداً في أجوبته،
ومن أمثلة ذلك أنه لما ولي قضاء
البصرة وسّنه عشرون أو نحوها
استصغره أهل البصرة فقال له
أحدهم: كم سنُّ القاضي؟ فعلم أنه
قد استصغره، فقال: أنا أكبر من
عتّاب بن أسيد الذي وجه به النبي
ﷺ قاضيا على أهل مكة يوم الفتح،



وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي
وجه به النبي ﷺ قاضيا على أهل
اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور
الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيا
على أهل البصرة^(١).

وهذا استحضار جيد من ابن

(١) طبقات الحنابلة ٤١٢/١ . وقد جاء فيها

كعب بن ثور وهو خطأ .

أَكْثَمَ لِلتَّارِيخِ حَيْثُ ذَكَرَ عَلَى الْفَوْرِ
هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْقَضَاءَ
وَهُمْ أَصْغَرُ مِنْهُ، فَأَسْكَتَ بِذَلِكَ مَنْ
قَدْ يَنْتَقِصُونَهُ لِصِغَرِ سَنِهِ.



من مواقف محمد بن واسع رحمه الله
من ذلك مذكره الحافظ ابن
كثير في ترجمة العالم الرباني محمد بن
واسع بن حيان، فقد ذكر من أقواله
«ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث:
صاحبٍ إذا اغْوَجَجْتُ قَوْمِي،
وصلاة في جماعة يُحْمَلُ عني سهوها
وأفوز بفضلها، وقوتٍ من الدنيا



ليس لأحد فيه مِنَّةٌ، ولالله عليّ فيه
تَبِعَةٌ^(١).

ولقد صدق هذا الإمام العابد
فما أعظم هذه الخصال الثلاث، فإن
الصاحب الصالح مرآة لصاحبه
يشجعه على الخير ويحذره من الشر.
أما صلاة الجماعة فإن مقامها

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٣.

عظيم، وقد أبرز لنا محمد بن واسع
مزية من مزاياها وهي أن الإمام
يتحمل سهو المأمومين، فالمأموم يفوز
بفضل صلاة الجماعة ويُعفى مما فيها
من مظاهر النقص الذي يكون من
السهو .

أما الرزق الحلال الذي
لا يؤاخذ الله صاحبه فيه، ولا يمنُّ
عليه فيه الناس فهو مجال تفكير
المتقين، ومطمح أنظارهم ومعقد



آمالهم، لما يترتب عليه من صفاء
القلب وسعادة الروح وإجابة
الدعاء، وغير ذلك من النتائج
المحمودة.



من مواقف بكر بن عبد الله المزني
رحمه الله

قال العالم الزاهد بكر بن عبد
الله المزني : إذا رأيت إخوانك
يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا من
فضل ربي، وإذا رأيت منهم تقصيراً
فقل: هذا بذنب أحدثته، وقال: من
مثلك يا ابن آدم؟ خُلِّيَ بينك وبين
الماء والمحراب، متى شئت تطهرت
ودخلت على ربك عز وجل ليس



بينك وبينه ترجمان ولا حاجب،
وقال: لا يكون العبد تقيًّا حتى
يكون تقيًّا الطمع تقيًّا
الغضب، وقال: إذا رأيت الرجل
موكِّلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه
فاعلموا أنه قد مُكِّرَ به ^(١).

فهذه موعظة جليلة بيِّن فيها

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٦٧.



العالم العابد بكر بن عبد الله المزني
عددًا من الوصايا المهمة.

فأولها أنه ذكر ميزانا لمعاملة
الناس في الحب والكراهية والإكرام
والجفاء، فحب الناس وإكرامهم لك
أيها المسلم فضل من الله تعالى تحمده
عليه، وتقصيرهم معك في هذا
الجانب ينبغي أن تفسره على أنه
بسبب ذنوب قد ارتكبتها، وذلك أن
قلوب العباد بيد الله عز وجل فهو



يميلها ويسخرها لحب المؤمنين
وإكرامهم أو لبغضهم وإهانتهم،
وإنما يحبُّ الله تعالى عبده إلى الناس
إذا كان من المتقين، ويبغضه لهم إذا
كان من الظالمين أنفسهم.

وثانيها: أنه ذكرَّ بنعمة الله تعالى
على عبده حيث يقوم بعبادة ربه
بدون وسائط وبوسائل ميسرة.

وثالثها: أنه بين جانباً مهماً من
عوامل تحقيق التقوى وهو أن يحاول



عصمة نفسه في مجال المال حتى
لا تتجاوز الحدود الشرعية، وأن
يملك نفسه عند الغضب حتى
لا يقول أو يفعل ما يندم عليه.

ورابعها: التحذير من
الاشتغال بعيوب الناس وتناسي
عيب النفس، فإن من فعل ذلك فقد
خدعته نفسه الأمارة بالسوء وزين له
الشيطان سوء عمله.

وإن محبة الكشف عن عيوب



الناس من علامات جموح النفس
وسيطرة العاطفة المنحرفة على العقل
السليم.



من مواقف وهب بن منبه رحمه الله
قال وهب بن منبه اليماني:
أزهد الناس في الدنيا - وإن كان
عليها حريصا - من لم يرض منها إلا
بالكسب الحلال الطيب مع حفظ
الأمانات، وأرغبُ الناس فيها - وإن
كان عنها معرضا - من لم يبال من
أين كسبه منها حلالا كان أو حراما،
وإنَّ أجود الناس في الدنيا من جاد
بحقوق الله عز وجل، وإن رآه الناس



بخيلاً فيما سوى ذلك، وإن أبخل
الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله
عز وجل، وإن رآه الناس جواداً فيما
سوى ذلك ^(١).

فهذا تحديد جيد من العالم
الرباني وهب بن مُنبّه لمجالات الزهد
والكرم، فأعلى أنواع الزهد عنده أن

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٠٠.

يزهد المسلم بالكسب المحرم والمشتبه
فيه، وإن كان دائب العمل في طلب
الرزق مادام حلالاً لا شبهة فيه.
وأعلى أنواع الكرم أن يجود
المسلم بأداء حقوق الله عز وجل في
ماله كإخراج الزكاة وإكرام الضيف
والأداء في نوائب المسلمين
ونكباتهم، وإن قصر فيما تعارف عليه
بعض الناس بأنه من وجوه الكرم.
وذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة



وهب بن منبّه اليماني رحمه الله من
خبر منير مولى الفضل بن أبي عياش
قال: كنت جالسا مع وهب بن منبّه
فأتاه رجل فقال له: إني مررت بفلان
وهو يشتمك، فغضب وقال: ما وجد
الشيطان رسولا غيرك؟ فما برحتُ
من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم

فسلم على وهب فرد عليه
السلام، ومد يده إليه وصافحه
وأجلسه إلى جنبه^(١).

فهذا فهم جيد من وهب بن
منبه حيث رد على ذلك النمام بهذا
الرد الذي أبان به أن الشيطان وراء
النامين يسوقهم حتى يستوعبوا

(١) البداية والنهاية ٢٨٦/٩.



ما يقال، ثم يسوقهم حتى يجبروا بما
سمعوا من قالة الناس بعضهم
ببعض.

من مواقف ميمون بن مهران رحمه الله
ذكر الحافظ ابن كثير عن
ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون
الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه
أشد من محاسبة الشريك شريكه،
حتى يعلم من أين مطعمه ومن أين
مشربه، أمن حلال ذلك أم من
حرام؟^(١)

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٣٠ .

وهذا مثال جيد يضربه هذا
العالم الرباني لمعرفة الاتصاف
بالتقوى، وذلك بمراقبة النفس
ومحاسبتها أشدَّ من محاسبة الشريك
شريكة في أمور الدنيا، فإذا كان
الإنسان شديد الحرص على محاسبة
الشريك فليعلم أن من واجبه أن
يحاسب نفسه على المخالفات الدينية
أبلغ من ذلك ليكون من المتقين.
قال الحافظ ابن كثير: وقال
ميمون بن مهران: في المال ثلاث



آفات، إن نجا صاحبه من واحدة لم
ينج من اثنتين، وإن نجا من اثنتين
كان قميناً أن لا ينجو من الثالثة،
ينبغي أن يكون حلالاً طيباً، فأياكم
الذي يسلّم كسبه فلم يُدخله إلا
طيباً؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن
يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله،
فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون

في نفقته ليس بمسرف ولا مقتّر^(١) .
فهذا رصد دقيق من عالم خبير
بآفات المال، فالآفة الأولى اختلاط
الكسب بالمال الحرام أو المشتبه به،
فإن سَلِمَ المسلم من هذه فقد لا يسلم
من الآفة الثانية وهي التقصير في أداء
الحقوق المالية، فإن سلم من هذه فقد
لا يسلم من الآفة الثالثة وهي الوقوع

(١) البداية والنهاية / ٢٣٠ .

إما في الإسراف أو التقصير في النفقة،
والتقصير في النفقة داخل في أداء
الحقوق المالية، فينبغي أن يضاف إلى
السلامة من الإسراف السلامة من
الخيلاء وإلى ذلك يشير قول عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما «كُلْ
ما شئت والبَسْ ما شئت ما أخطأتك
خصلتان: سرفٌ ومَحِيلَةٌ»^(١).

(١) المنهيات للحكيم الترمذي / ٧ .



من مواقف أبي قلابة رحمه الله

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير عن أبي قلابة عبد الله بن يزيد
الجَرَمي أنه قال: إذا أحدث الله لك
علماً فأحدثْ له عبادة، ولم يكن همك
ما تحدث به الناس، فلعل غيرك ينتفع
ويستغني وأنت في الظلمة تتعثر،
وإنني لأرى هذه المجالس إنما هي
مناخ البطالين، وقال: إذا بلغك من
أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً



جُهِدَكَ، فإن لم تجد له عذرا فقل: لعل
لأخي عذرا لا أعلمه ^(١).

فقله «إذا أحدث الله لك علما
فأحدث له عبادة» يعني أن العبادة
تطبيق عملي للعلم، فالذي يكثّر من
العبادة بأنواعها يكون قد تعلم العلم
من أجل أن يعمل به، وهذا هو

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٠.

المنهج الصحيح في تعلم العلم.
ولا ينبغي لطالب العلم أن
يكون همه حديث الناس عنه، بل
ينبغي له أن يهتم بالعمل، فلربما انتفع
بالعلم غيره عن طريقه لأن من
تعلموا منه العلم عملوا بعلمهم ولم
يعمل به هو.

ويرى أبو قلابة أن المجالس
التي يجتمع فيها الناس للتسلية
مجالسُ البطالين، وليس من أخلاق



المسلم أن يتصف بالبطالة، فهو إما طالب علم فعليه أن يكون جادًا في تعلمه عاملا بعلمه، وإما أن يكون معلمًا فعليه أن يكون قدوة في الخير وأن يغتنم كل فرصة من الوقت لتعليم العلم النافع عن طريق التدريس والكتابة وغير ذلك من الوسائل، وإما مشارك في عمارة الأرض بعمل من الأعمال التجارية أو الصناعية أو غير ذلك فعليه أن



يكون جادا في عمله مغتنماً فرصة
الراحة للتزود بالعبادة.

كما يوصي أبو قلابة المسلم بأن
يعذر أخاه على تقصيره وأن لا يكثر
من اللوم وتتبع التقصير من إخوانه
فإن ذلك أبقي للصلة والأخوة.

إذا كنت في كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه



من مواقف يونس بن عبيد رحمه الله
رُوي عن يونس بن عبيد
مواظب كثيرة سديدة ومنها قوله
لا تجد من البر شيئاً واحداً يتبعه البر
كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل
يكثر الصيام، ويفطر على الحرام،
ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار،
وذكر أشياء نحو هذا، ولكن لا تجده
لا يتكلم إلا بحق، فيخالف ذلك

عمله أبدا^(١) .

وصدق يونس بن عبيد فإن
شهوة الكلام هي أقوى الشهوات،
وضبطها والتحكم فيها عسير إلا على
من يسره الله عليه، فقد يكون المسلم
من أهل الصلاح في الصلاة والصوم
والصدقة ونحو ذلك من الأعمال

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

الصالحة ولكنه لا يملك لسانه
فيكتسب بسببه الذنوب، وتسجل
عليه المخالفات.

أما الذي يستطيع أن يملك
لسانه فلا ينطق إلا بخير فإنه يكون
قد بلغ درجة قوية من الإيمان،
ويكون غالبا قد زَمَّ نفسه عن
المخالفات، وألزمها بالطاعات، وفي
هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ لمعاذ
بن جبل بعدما ذكر له فرائض
الإسلام وجوامع النوافل «ألا أخبرك



بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي
الله، فأخذ بلسانه فقال: كفَّ عليك
هذا، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون
بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك
يامعاذ وهل يكبُّ الناس في النار على
وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» رواه
الإمام أحمد والترمذي ^(١).

(١) مسند أحمد ٢/ ٢٩١ ، سنن الترمذي ، رقم

٢٦١٦ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

من مواقف أبي عثمان الحيري
رحمه الله

قال الحافظ ابن كثير في ترجمة
أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري
من خبر عبد الكريم بن هوازن
سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين
سنة ما أقامني الله تعالى في حالة
فكرتها ولا نقلني إلى غيرها



فسخّطتها^(١) .

فهذا تعبير بليغ عن الرضى
بقضاء الله تعالى وقدره، وهذا مقام
عالٍ في التوحيد لا يبلغه إلا أقوياء
الإيمان، والذي يعين على بلوغ هذا
المقام التجرد من حظ النفس
والتسليم الكامل لله تعالى .

(١) البداية والنهاية ١١ / ١٢٢ .



والرضى بقضاء الله جل وعلا
منزلة أعلى من منزلة الصبر، وقد
جاء في كتاب أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب إلى أبي موسى الأشعري
رضي الله عنهما: أما بعد فإن الخير كله
في الرضى، فإن استطعت أن ترضى
وإلا فاصبر^(١) .

(١) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .

وقال الإمام ابن القيم في
حقيقة الرضى: وليس من شرط
الرضى أن لا يحسَّ بالألم والمكاره، بل
أن لا يعترض على الحكم ولا
يتسخطه، ولهذا أشكل على بعض
الناس الرضى بالمكروه وطعنوا فيه،
وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة وإنما
هو الصبر، وإلا فكيف يجتمع الرضى
والكراهة وهما ضدان؟
قال: والصواب أنه لا تناقض



بينهما، وأن وجود التألم وكراهة
النفس له لا ينافي الرضى، كَرَضَى
المريض بشرب الدواء الكريه،
ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر
بما يناله من ألم الجوع والظمأ، ورضى
المجاهد بما يحصل له في سبيل الله
تعالى من ألم الجراح وغيرها^(١).

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٧٥ .



قال الحافظ ابن كثير: وكان
أبو عثمان [يعني الحيري] يُنشد:
أسأتُ ولم أحسن وجئتُك هاربا
وأين لعبد عن مواليه مهرب
يؤمّل غفراناً فإن خاب ظنه
فما أحدٌ منه على الأرض أخيب^(١)
وهذا مثل من الأدب

(١) البداية والنهاية ١١/١٢٢ .



الإسلامي، حيث سخر هذا العالم
موهبتة الشعرية في التعبير عن
اعترافه بالتقصير ولجؤه إلى الله جل
وعلا وطلب المغفرة منه، ويشبه
نفسه في فراره إلى الله تعالى بالعييد
المملوكين في الدنيا الذين
لا يستطيعون الفرار من مواليتهم، وإن
كان المشبه به لا يعتبر شيئاً في مقارنته
بالمشبه لأن الخالق جل وعلا لا يقارن
بالمخلوق، ولكنه أراد أن يقول: إذا



كان العبد لا يستطيع الفرار من
مواليه فمن باب أولى أني لا أستطيع
الفرار من ربي إلا إليه جل وعلا.



من مواقف أحمد بن حرب رحمه الله
من المواعظ الجيدة ماُروى عن
العالم أحمد بن حرب قال: عبت الله
خمسين سنة فما وجدت حلاوة
العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء:
تركت رضا الناس حتى قدرت أن
أتكلم بالحق، وتركت صحبة
الفاسقين حتى وجدت صحبة



الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا
حتى وجدت حلاوة الآخرة^(١).

فهذه وصية جليلة من العالم
أحمد بن حرب وقد بُنِيَتْ هذه
الوصية على تجربة طويلة، فهو يثبت
أنه عبد الله تعالى خمسين سنة فما وجد
حلاوة العبادة حتى حقق هذه

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٤.



الأشياء المذكورة، وحلاوة العبادة
تعني طمأنينة النفس وسكونها
والشوق القلبيّ إلى مواصلة العبادة
من غير كسل ولا ملل، وحلاوة
العبادة هذه يفقدها كثيرون
لأنصرف أفكارهم إلى أمور الدنيا
وانشغالهم بمشكلات الحياة.



من مواقف هُدْبَة بن خالد رحمه الله

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير من خبر المحدث هُدْبَة بن خالد
القيسي مع أمير المؤمنين المأمون،
قال: وحضر عند المأمون هُدْبَة بن
خالد ليتغدى عنده، فلما رُفعت
المائدة جعل هُدْبَة يلتقط ماتناثر منها
من اللباب وغيره، فقال له المأمون:
أما شبت يا شيخ؟ فقال: بلى،
حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن



أنس أن رسول الله ﷺ قال: « من أكل
ماتحت مائدته أَمِنَ من الفقر»، قال:
فأمر له المأمون بألف دينار^(١).

فهذا مثل من شكر النعمة
والوعي الجيد للعلم والتطبيق الدقيق
للسنة يقدمه العالم المحدث هدبة بن
خالد القيسي، وقد حاز بذلك

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٠.

إعجاب أمير المؤمنين المأمون بعدما
أنكر عليه ذلك العمل.
وهكذا ينبغي للعالم أن يكون
واعياً بعلمه، مستحضراً له عند
المناسبات، وأن يطبقه عملياً ليكون
قدوة لغيره.

من مواقف عبد الله بن وهب رحمه الله
من مواقف السلف في التقوى
والبعد عن المحرمات ما رواه ابن أبي
حاتم قال: حدثنا أبي، حدثنا
حرملة: سمعت ابن وهب يقول:
نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن
أصوم يوما، فأجهدني، فكنت أغتاب
وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت
إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمن حبّ
الدراهم تركت الغيبة.



ذكره الإمام الذهبي وقال:
هكذا والله كان العلماء، وهذا هو
ثمرة العلم النافع^(١).
أقول: إن ما ألزم به نفسه العالم
عبد الله بن وهب يُعدُّ نوعاً من
العلاج الناجح في الوقاية من
ارتكاب المحظورات.

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٨ .

والغيبة ونحوها من آفات
اللسان هي التي يقع فيها الصالحون
أحيانا ومنهم العلماء، بينما يندر
حصول المعاصي الأخرى منهم
وذلك لأن شهوة اللسان هي أقوى
الشهوات، فقد يكفُّ المسلم عن
شهوة المال والجاه وشهوات الغرائز،
ولكنه يقع في شهوة اللسان كما تقدم.
فهذا العالم الرباني لما أدرك
فلتات لسانه في مجال الغيبة أخذ نفسه



بنظام صارم فألزمها بصيام يوم كلما
اغتاب إنسانا، ولعل ذلك لم يكفّه
بالكامل لكون الصيام مستسهلا أمام
الصالحين من أمثاله، فألزم نفسه
بالصدقة كلما وقع في غيبة، فاستطاع
بذلك أن يزّم نفسه عن هذه المعصية،
لأن الحصول على المال بالنسبة
للعلماء كان صعبا للغاية في كثير من
الأحيان لتورعهم عن مداخل
الكسب المحرم.



وقول ابن وهب عن نفسه
«فَمِنْ حُبِّ الدِّراهِمِ تَرَكْتُ الْغِيَّةَ»
مثل من منهج العلماء في اتهام النفس
وإلا فما أبعد ابن وهب عن حب
الدنيا، وسيرته تتنافى مع ذلك.
وتعليق الإمام الذهبي على هذا
الخبر يبين أثر العلم النافع في استقامة
العلماء واهتمامهم بأسباب النجاة.



من مواقف عمر بن أبي ذر رحمه الله
من المواعظ المؤثرة مذكره
ربعي بن إبراهيم قال حدثني جار لنا
يقال له عمر: إن بعض الخلفاء سأل
عمر بن أبي ذر عن القدر، فقال:
هاهنا ما يشغل عن القدر، قال:
ما هو؟ قال: ليلة صبيحتها يومُ
القيامة، فبكى وبكى معه ^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٨٧ .



فهذه موعظة جليلة تدل على
قوة إحساس هذا العالم الجليل،
وحضور قلبه مع الله تعالى ومع
مصيره المنتظر في الآخرة، فقد شغله
تذكر أهوال يوم القيامة عن التفكير
في جواب ذلك السؤال الذي قد
يؤدي إلى فتنة في الدين وبُعْدٍ عن
الاستقامة، فوجّه ذلك الخليفة الذي
سأله عن القدر إلى الاشتغال بتذكر
الآخرة والاطمئنان على مستقبله
فيها، هل هو إلى الجنة أم إلى النار.



ولقد كان هذا الواعظ الخبير
متأثراً بهذا التذكر الذي خطر له
فصدرت موعظته من القلب،
ودمعت عيناه، والدموع عادة مرآة
التأثر القلبي، فأبكى الخليفة معه،
ولقد كان موفقاً كل التوفيق حينما
صرف نفسه والخليفة عن الدخول
في بحث قد لا تحمد عقباه، وركز فكر
الخليفة في أمر واضح يترتب عليه
مستقبله الحقيقي، فنفعه الله تعالى
بموعظته.



من مواقف إبراهيم بن أدهم رحمه الله
من الوصايا التي جاءت في
التزهد في الدنيا والترغيب بالآخرة
مارؤي عن إبراهيم بن أدهم رحمه
الله أنه قال: وأيّ دين لو كان له
رجال! من طلب العلم لله كان
الخمول أحب إليه من التطاول، والله
ما الحياة بثقة فيرجى نومها، ولا المنية
بعذر فيؤمن عذرهما، ففيم التفريط
والتقصير والاتكال والإبطاء؟ قد



رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومنْ طَلَبِ
التوبة بالتواني، ومنْ العيش الباقي
بالعيش الفاني^(١).

وقد صدق إبراهيم بن أدهم
فإن الإسلام دين عظيم إذا وُفِّق
برجال يحملونه ويقيمون به المجتمع
السليم ويغزون به العالم، ولكنه

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٩٤.

بدون هؤلاء الرجال يبقى معاني
سامية تحملها النصوص ولا وجود
لها في أرض الواقع .

ثم بين أن من الأمراض القلبية
الفتاكة التي تمنع تكامل الرجال
الذين يمثلون هذا الدين أن يصاب
المسلمون بالغرور والكبرياء والعمل
للجاه والسمعة، وأن تكون نظرتهم
محدودة بالحياة الدنيا، حيث يصاب
العبد بطول الأمل ، ونسيان الموت ،



والاشتغال بالدنيا الفانية عن
الأخرى الباقية.



من مواقف ابن السَّمَاك رحمه الله
من الحكم البليغة ما جاء في
قول ابن السَّمَاك محمد بن صُبَيْح
العجلي في شفاعة لفقير عند أحد
الرؤساء، حيث قال : إني أتيت في
حاجة، والطالب والمُعْطِي عزيزان إن
قُضِيَت الحاجة، ذليلان إن لم تُقْضَ ،
فاختر لنفسك عِزَّ البذل عن ذل
المنع، وعِزَّ النُّجْح على ذلِّ الرَّدِّ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٩٢ .



فهذه الكلمات من أبلغ ما قيل
في استدرار عطف الأغنياء على
الفقراء ، حيث ذكّر ابن السّمك ذلك
الغني بأنه أمام موقفين: موقف عز
إن هو قضى حاجة ذلك الفقير،
وموقف ذلّ إن هو اعتذر منه، وإنما
يتصور الحرج في الاعتذار والشعور
بالذل أهلُ الشّهامة والعزة الذين
يحافظون على سمعتهم كما يحافظون
على مشاعر إخوانهم المسلمين،



ويتصورون نشوة الفرح والشعور
بالعزة في حال البذل وقضاء حوائج
المحتاجين، ولقد كان ذلك العالم
قوي الإحساس بهذه المشاعر،
فلذلك ذكّر بها ذلك الغني .

ومن ذلك ما روي عن ابن
السَّكَّك أنه قال : هَمَّةُ العَاقِل في النجاة
والهرب وهمة الأحمق في اللهو
والطرب، عَجَباً لِعَيْن تَلذُّ بِالرُّقَادِ
وَمَلَكُ المَوْتِ مَعَهَا عَلَى الوَسَادِ، حَتَّى
مَتَى يُبَلِّغُنَا الوَعَاظُ أَعْلَامَ الآخِرَةِ،



حتى كأن النفوس عليها واقفة،
والعيون إليها ناظرة، أفلا منتبه من
نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومفيق
من سكرته، وخائف من صرعته،
كدحًا للدنيا كدحًا، أما تجعل للآخرة
منك حظًا، أقسم بالله لو رأيت
القيامة تحفق بأهوالها، والنار مشرفة
على آله^(١)، وقد وُضع الكتاب وجيء
بالنبيين والشهداء لسرّك أن يكون

(١) يعني على أهلها .



لك في ذلك الجمع منزلة ، أبعد
الدنيا دار مُعْتَمَل ، أم إلى غير الآخرة
منتقل؟ هيهات ولكن صمت الآذان
عن المواعظ، وذَهَلت القلوب عن
المنافع ، فلا الواعظ ينتفع ولا السامع
ينتفع^(١) .

ففي هذه الموعظة إشارة إلى
الفرق بين تفكير العقلاء الفطنين

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٩٣ .

وتفكير الحمقى المغفلين، فالعاقل
لا يعيش وقته الحاضر وينسى
مستقبله الغائب، بل يعيش حاضره
بجزء من تفكيره ويصرف جُلَّ
تفكيره لتأمين مستقبله الحقيقي الذي
لا بد أن ينتقل إليه، فإذا آمن الإنسان
بالحياة الآخرة بما فيها من أهوال
ونعيم مقيم أو عذاب مقيم كان
عاقلاً فطنا إن رتب أموره في الحياة
الدنيا على تأمين مستقبله الآخروي،



وكان أحق مغفلا إن لها مع اللاهين
وقصر همه وتفكيره على حياته الدنيا.
ثم يُفيض هذا الإمام الواعظ
بالتذكير بالموت وما بعده من
الأهوال، ويصور مشاعر المقصرين
إذا واجهوا ذلك الموقف وما يعتريهم
من الندم المر الذي لا يمكن تلافي
نتائجه ، حيث الآخرة دار جزاء
وليست دار عمل .

ومن ذلك ما ذكر الإمام محمد



بن جرير الطبري عن محمد بن
هارون عن أبيه قال: حضرت
الرشيد، وقال له الفضل بن الربيع:
ياأمير المؤمنين قد أحضرت ابن
السَّماك كما أمرتني، قال: أدخله،
فدخل فقال له : عظمي، قال: ياأمير
المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له،
واعلم أنك واقف غداً بين يدي الله
ربك، ثم مصروف إلى إحدى
منزلتين لاثالثة لهما : جنة أو نار ،



قال: فبكى هارون حتى اخضلت
لحيته، فأقبل الفضل على ابن السماك
فقال: سبحان الله! وهل يتخالج أحداً
شكُّ في أن أمير المؤمنين مصروف إلى
الجنة إن شاء الله! لِقِيَامِهِ بِحَقِّ اللَّهِ
وعدله في عبادته وفضله، قال: فلم
يحفل بذلك ابن السماك من قوله ولم
يلتفت إليه، وأقبل على أمير المؤمنين
فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني
الفضل بن الربيع - ليس والله معك



ولاعندك في ذلك اليوم، فاتق الله
وانظر لنفسك، قال: فبكى هارون
حتى أشفقنا عليه، وأُفْحِمَ الفضل بن
الربيع فلم ينطق بحرف حتى
خرجنا^(١).

فهذه موعظة جليلة تأثر منها
أمير المؤمنين هارون الرشيد تأثراً

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٧.

شديداً، وإننا حينما نلاحظ هذه
الموعظة فإننا لانجد الواعظ ابن
السماك قد أتى بشيء جديد على
هارون الرشيد، فهو يؤمن بالجنة
والنار، وإنما الشيء الجديد هو قوة
التأثير عند ابن السماك لقوة إيمانه
وحضور قلبه مع الله تعالى ومع
مقاصد الكلام الذي وعظ به ، فكان
تأثر الرشيد بكلامه لذلك .

فالمواعظ المؤثرة لا بد لها من



أركان ثلاثة : أولاً : صلاح الواعظ
وقوة تأثيره بما يدعو إليه ، وثانياً :
الاستعداد الكافي للتأثير لدى
السامع، وثالثاً : أن تكون الموعظة
من العلم النافع، وقد اجتمعت هذه
الأركان في هذه الموعظة فحصل تأثير
هارون الرشيد، بينما لم يتأثر وزيره
الفضل بن الربيع لكونه فقد الركن
الثاني وهو الاستعداد الكافي عند
السامع .



**من مواقف عبد العزيز بن أبي رواد
رحمه الله**

يقول شقيق البلخي عن نفسه :
كنت شاعراً فرزقني الله التوبة،
وخرجت من ثلاثمائة ألف درهم ،
ولبست الصوف عشرين سنة
ولأدري أنني مُراءٍ حتى لقيت عبد
العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس
الشأن في أكل الشعير ولبس
الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك



ولا تشرك به شيئاً وأن ترضى عن الله
وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما
في أيدي الناس ^(١) .

وقوله « كنت شاعراً فرزقني
الله التوبة » يقصد الشعر الذي يدور
حول الأغراض الدنيوية ويحول بين
العبد والتزود من عمل الآخرة، أما

(١) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣١٤ حلية ٨ / ٥٩ .

الشعر الدَّعْوِيّ الذي يُقصد منه
تمجيد الإسلام ورفع معنوية
المسلمين وتقوية إيمانهم وفضح
الكفار والنكاية بهم فهذا من العمل
الصالح وهو مطلوب ممن رزقهم الله
تعالى موهبة الشعر وقد كان النبي ﷺ
يحث شعراء الإسلام من أمثال
حسان بن ثابت وكعب ابن مالك
على تمجيد الإسلام وهجاء المشركين.
وقوله «وَلَبِستُ الصُّوفَ



عشرين سنة « يُعَدُّ من لزوم ما لا يلزم
شرعا، فالزهد لا يتحدد بلباس معين،
وقد كان النبي ﷺ أعظم الزهاد ولم
يفعل ذلك ، ولا فعله أصحابه رضي
الله عنهم.

ثم ذكر شقيق أنه كان مرأيا
في تلك المظاهر ، وهذا يُحْمَل منه على
التواضع واتهام النفس، وذكر أنه
انتفع بموعظة عبد العزيز بن أبي
رواد ، ولقد صدق ابن أبي رواد رحمه



الله في موعظته ، فقد كانت علمًا نافعا
صدر من قلب مشفق مخلص إلى
قلب متجرد من الهوى المنحرف فنفع
الله بها .

فليست العبرة بنوع اللباس
ونوع الطعام ، إنما العبرة بمعرفة الله
تعالى بالقلب ، وهذه المعرفة تظهر
بتذكر عظمة الله سبحانه واستحضار
رقابته في كل حين .

والعبرة أيضا بتوحيد الله



سبحانه، وصيانة القلب من أن
يتسرب إليه الشرك بأنواعه.

والعبرة كذلك بالرضا عن الله
تعالى ، ومن ذلك الانقياد لشرعه
والرضا بقضائه وقدره ، والاعتقاد
الجازم بأن الله تعالى هو الرزاق وحده
وأن الناس مجرد أسباب ووسائل
لعبور الأرزاق .

من مواقف حاتم الأصم رحمه الله
مما ذُكر من المواعظ والحكم
ماُروى عن حاتم بن عنوان الأصم
قال: المؤمن لا يغيب عن خمسة: عن
الله، والقضاء ،والرزق، والموت،
والشيطان^(١) .

وهو كما قال : فالمؤمن الحق

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨٧ / ١١ .

لأبد أن يستحضر عظمة الله تعالى
ورقابه عليه حتى يحذر سخطه
ويرجورضاه .

ولأبد من اليقين بأن كل شيء
بقضاء الله وقدره حتى لا يحزن المسلم
على خير فاته ولا على شر أصابه من
أمر الدنيا .

ولأبد للمسلم من اليقين بأن
الرزق بيد الله تعالى وحده حتى
يتوكل عليه سبحانه ولا ينزل حاجته
بخلقه .



ولابد للمسلم من تذكُّر الموت
حتى يقصر أمله في الدنيا ويمتد أمله
بالآخرة ، وحتى لايفاجأ بالموت
وهو على حال يتمنى فيها بقاء الدنيا
لتدارك مافات وإصلاح مافسد .

ولابد للمسلم من تذكُّر عداوة
الشيطان التي تلازم الإنسان حتى
خروج روحه ، وأن يتخذ له عدوا
وأن يكون معه كل يوم في معركة
حتى يدحره ويتتصر عليه .



ورُوي عن حاتم الأصم أنه
قال : أفرحُ إذا أصاب من ناظرني
وأحزن إذا أخطأ^(١) .

وهذا مثال على التجرد من
حظ النفس ومن الحسد، والاتصاف
بحب الخير للآخرين بمقدار حبه
لنفسه، وكراهية الشر لهم بمقدار

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨٧ / ١١ .

كراهيته للنفس، وهذا المعنى مستفاد
من قول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)،
ولا يصل المسلم إلى هذا المستوى إلا
بعد مجاهدة نفسه، وذلك باستحضار
عظمة الله جل وعلا ورقابته وكثرة

(١) صحيح البخاري ، رقم ١٣ ، كتاب الإيمان
(٥٦/١) .

العبادة وتضخيم شأن الآخرة والتقليل
من شأن الدنيا.

ومن كلمات حاتم الأصم
الوعظية الجيدة قوله : لو أن صاحب
خَبَرٍ جلس إليك لكنت تتحرز منه،
وكلامك يعرض على الله فلا تتحرز!^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١١ ، وصاحب
الخبر يعبر به في ذلك الزمن عن الجاسوس
الذي ينقل الأخبار .



فهذا تنبيه جليل القدر إلى رقابة
الله عز وجل على العبد وحسابه إياه ،
فكيف يتحرز الإنسان ويستجمع
حواسه في مخاطبة الناس ولا يزن
كلامه الذي يعرض على الله تعالى ؟!
لا شك أن من كان كذلك
يغلب عليه الإيمان بالحسّ ويقل
عنده الإيمان بالغيب الذي جعله الله
تعالى أول صفات المؤمنين .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في التوجيه التربوي (٣)
٧	من مواقف فرج التنوخي
١١	من مواقف القاضي يحيى بن أكثم
١٦	من مواقف محمد بن واسع
٢٠	من مواقف بكر بن عبد الله المزني
٢٦	من مواقف وهب بن مُنبّه
٣٢	من مواقف ميمون بن مهران
٣٧	من مواقف أبي قلابة
٤٢	من مواقف يونس بن عبيد
٤٦	من مواقف أبي عثمان الحيري
٥٤	من مواقف أحمد بن حرب



٥٧	من مواقف هُذبة بن خالد
٦٠	من مواقف عبد الله بن وهب
٦٥	من مواقف عمر بن أبي ذر
٦٨	من مواقف إبراهيم بن أدهم
٧٢	من مواقف ابن السماك
٨٤	من مواقف عبد العزيز بن أبي رواد
٩٠	من مواقف حاتم الأصم